٣

سلسلة

قصص الأنبياء

نوح عليه السلام

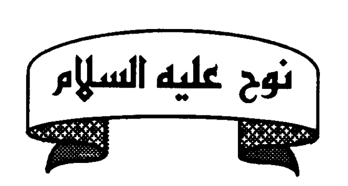
تأليف

الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي	977-5096-61-8





* نسب نوح عليه السلام :

هو نوح بن لامك بن متوشلح بن أخنوخ (إدريس) من نسل شيث بن آدم .

سمي نوحًا لكثرة نوحه ، وخوفه من ربه ، وهو أول أولي العزم من الرسل ، وأول نذير عن الشرك ، وأول من عذبته أمته .

وأولو العزم من الرسل يا بني العزيز هم خمسة : رسول الله محمد ﷺ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى .

قال تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [الشورى :١٣] .

وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمرًا ، وقيل له : أكبر الأنبياء وشيخ المرسلين ، عمر في الأرض ألفا ومائتي سنة ،



وقيل ألفًا وأربعمائة سنة ولم ينقص له سن ، ولم تضعف له قوة ، ولم يبلغ أحد في الدعوة مثل ما بلغ ، كان يدعو قومه ليلاً ونهارًا ، إعلانًا وإسرارًا ، لم يلق نبي من أمته من الأذى ما لقى.

كان نوح عليه السلام يضربه قومه ، ثم يلقى في بيته ، فيرون أنه قد مات ، ثم يخرج يدعوهم إلى الله ، وكانوا يخنقونه حتى يترك مغشيًا عليه ، ويعذبونه في المجالس ، ويطرد منها ثم لا يدعو عليهم ، بل يدعو لهم ويقول : **رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** .

وهو أول من تنشق عنه الأرض بعد رسول الله ﷺ ، وكان لربه عبدًا شكورًا فقال تعالى : ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾ [الإسراء : ٣] .

وأكرمه ربه بالسلامة والبركة فقال : ﴿ ... **يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ** ﴾.

[هود : ٤٨] .

وهو الأب الثاني للبشرية لقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ** ﴾[الصافات : ٧٧] .

* * *

* عصيان قوم نوح :

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[هود : ٢٥ - ٢٧] .

يخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام وقد أرسله ربه إلى قوم يعبدون الأصنام أنه قال لقومه : إني لكم نذير مبين أي ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إن أنتم عبدتم غير الله ، لهذا قال : ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ .

وفي قوله : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ أي إن استمررتم على ما أنتم عليه عذبكم الله عذابًا أليمًا موجعًا شاقًا في الآخرة .

فقال الذين كفروا من السادة الكبراء منهم :

ما نراك إلا بشرًا مثلنا ،أي لست بملك ولكنك بشر ، فكيف أوحى إليك من دوننا ، ثم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أي ضعفاؤنا وفقراؤنا ولم يتبعك الأشراف، ثم إن هؤلاء الذين

اتبعوك لم يكن عن تروٍ منهم ولا فكر ولا نظر بل بمجرد أن دعوتهم أجابوك فاتبعوك ، ولهذا قالوا : ﴿ **وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**﴾ أي في بادي الرأي، وهذا الاعتراض من الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم ، فإنه ليس بعار على الحق ، فإن الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل ، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء .

ثم الواقع غالبًا أن من يتبع الحق ضعفاء الناس ويخالفه الأشراف والكبراء كما قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

وظل نوح عليه السلام يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويأمرهم بالكرم ، والصدق ، والوفاء ، والمروءة ، والشجاعة ، والهمة .

وينهاهم عن الفاحشة ، وشرب الخمر ، والكذب ، ونقض العهد ، والبخل ، والأنانية ، والسجود لغير الله .

وأخذ نوح عليه السلام يخوفهم عذاب الله وبطشه ، وقوته وجبروته ، ويذكرهم بيوم الحساب .



بذل نوح عليه السلام كل ما يستطيع من جهد وعناء وكفاح في دعوتهم ليلاً ونهارًا ، سرًا وجهرًا ، ولكنهم لم يزدادوا إلا كفرًا وعنادًا ونفورًا واستكبارًا ، ولم يتبعه إلا قلة قليلة من ضعفاء القوم ، الذين لا حول لهم ولا قوة ، اعتز نوح بصحبتهم ، وأصر على ملازمتهم ، فلم يزدد القوم إلا استهزاءًا به وسخرية منه .

وكلما مرت الأيام وكرت السنون ، كلما اشتد أذاهم له ، وتسليط سفهائهم عليه حتى أطلقوا عليه اسم المجنون .

قال تعالى : ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ** ﴾ [القمر : ٩] .

وقال لهم نوح : ﴿ **إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾** ﴾ .

[هود : ٢٥ - ٢٦] .

وطلبوا منه أن يطرد هؤلاء المستضعفين الذين اتبعوه ، ولكنه قال لهم بإصرار : ﴿ **وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ .

[هود : ٢٩] .

* * *

* اليأس :

مرت السنون والقرون ونوح على هذا الحال من عصيان قومه وجحودهم وأذاهم وسخريتهم فهو يتوعدهم العذاب إن لم يؤمنوا به وهم في غـيهم فـلا يكف عن إنذارهم ولا يكفـون عنه أذاهم وسخريتهم .

فيمشي خلفه الأطفال والشباب والسفلة :

المجنون المجنون فـلا يملك إلا التطلـع إلى السمـاء قـائلاً : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾ [القمر : ١٠] .

ولم يؤمن معه إلا القليل من ضعفاء قومه بالإضافة إلى أبنائه الأربعة وزوجات أبنائه .

وفي بيت نوح سلطت عليه زوجة لسانها سليط تؤنبه وتسخر منه ومن دعوته وتبعها ابن لها مدلل .

* * *



* استجابة دعوة نوح عليه السلام :

ويستجيب الله تعالى لدعاء نبيه نوح فيقول تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود : ٣٦] .

فكان الرجل منهم يأتي نوحًا ومعه ابنه الصغير ، فيقول لابنه: احترس من هذا الرجل حتى لا يضلك ، فإذا مات الأب شب الولد على بغضه لنوح ، وكانوا يتواصون بالاستمساك بعبادة الأصنام والعكوف عليها ، وقالوا لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ ودًا ولا سواع ولا يغوث ويعوق ونسرا .

ومن دعاء نوح عليه السلام على قومه ﴿ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦]. ويكمل دعوته فيقول : ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ .

وكانت إجابة الدعاء من ربه إذ يقول عز وجل في كتابه : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود :٣٧] .

ثم ينهاه ربه أن يكلمه في الذين ظلموا فيقول : ﴿ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ .

* (صناعة السفينة)

وازداد استهزاء قومه به وبأبنائه الثلاثة الذين يعملون معه في صناعة السفينة . فكان الناس يجتمعون ليذهبوا إليه جماعات ويهزأون ويسخرون ، ويرقصون ويغنون .

ويقولون له : ما هذا يا نوح أبلغ بك الجنون أن تصنع سفينة، ونحن نعيش في صحراء لا ماء فيها ولا بحار يقول تعالى: ﴿ **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ** ﴾ [هود : ٣٨] . ويرد عليهم نوح : ﴿ **إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾** ﴾ [هود : ٣٨ - ٣٩] .

* (صفة السفينة)

وتم صنع السفينة بمشيئة الله تعالى ، وأجمع المفسرون أنها من خشب الساج وذات مساكن مطلية من الداخل والخارج بالقار، طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعًا ، وارتفاعها ثلاثون ذراعًا ، مكونة من ثلاثة طوابق في الأسفل السباع والوحوش ، وفي الوسط الدواب والأنعام ، وفي الأعلى نوح ومن معه وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً وامرأة ومعهم ما يلزم من الزاد .

* الطوفان :

هو غرق الأرض بالماء . . ماء السمـاء ، وماء البحر ، وماء يخرج من الأرض يقضي عـلى جميع الأحياء من إنسـان وحيوان اختناقًا .

وبعد انتـهاء صنع السفـينة ظلت في مكانها فـوق الرمال في الصحراء أربعين عامًا يترقب نوح خلالها الطوفان .

وقد بلغ من سخـرية قومـه : أنهـم اتخذوها مبـاول ومبارز لهم .

ولما اقترب مـيعاد الغرق ، ابتلاهم الله بالجرب حـتى مزقوا جلودهم بأظفارهم .

نسأل الله السلامة منها .

* * *

* الطوفان والتنور :

جلست امرأة نوح أمـام التنور (الفرن) تصنع الخـبز ، وإذا بالماء يتفـجر من ألسنة النيـران ، متـدفقًا في عنف فيـدفعـها في صدرها ، فتكون بذلك أول الهـالكـين غرقًا وحرقًا في آن واحـد ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ [هود : ٤٠] .

وفجرت الأرض عيونًا ، وفتحت أبواب السمـاء بمـاء منـهمر والتقى ماء الأرض ومـاء السمـاء .

وأمره الله تعالى أن يحمل في السفينة أهله .

ويضع فـيـهـا من كـل حـيـوان ، وطيـر ، وزواحف ، وحشـرات، ووحوش ، وبذور، وحبـوب ، زوجين اثنين : ذكر وأنثى .

وأن يأخـذ مـعـه كل من آمـن به ، فـجـمع نوح الحـمـام والدجـاج، وكل نوع من أنواع الطيـور ، والخيل ، والحـميـر ، والثعابين ، والسلاحف .

وأنواع الحشرات من عقارب ، وصراصير .

وأغلق نوح أبواب السفينة ، وأخـذ كل مكانه فيها ، ونسي



الكلب عداوته للقط ، ونسى القط عداوته للفأر ، ونسى الذئب افتراسه للغنم والمعز ، ونسي الفيل بغضه للنمر .

واطمأن نوح وهدأ ، وسجد لله شاكرًا ، وما هى إلا برهة، حتى أظلمت عيون السماء ، وهبت الرياح والعواصف ، ثم نزل من السماء مطر غزير وتفجرت الأرض من جميع نواحيها، فحمل السفينة ، ومن فيها ، وما فيها .

وأصاب الكفار الذعر ، والخوف ، والهلع ، وأصابهم الجنون ، وهم لا يدرون ماذا يفعلون !!

لا ملجأ يحميهم ، ولا منقذ ينقذهم ، ولا ناصر ينصرهم ويعينهم .

ذهبوا إلى الجبال يحتمون بها ويتحصنون بقممها ، والماء يعلو ويرتفع .

نظر نوح من نافذة السفينة ، فرأى القوم ، يبتلعهم الماء ، ويتخطفهم الموت .

وبينما نوح يقلب النظر رأى ابنه كنعان يصعد في الجبل ، فحزن وتألم ، وقال بأعلى صوته :

يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، أشفق نوح على ولده وأراد نجاته من الغرق ، وتحركت فيه عاطفة الأبوة ، فناداه كثيرًا ، وتمنى له السلامة .



ولكن ابنه كان كافرًا عاصيًا عنيدًا فأعمى الله بصيرته.

فقال لأبيه : سآوي إلى جبل يعصمني من الماء .

قال نوح : لا عاصم اليـوم من أمر الله إلا من رحم ، وفي غمضـة عين ، ابتلـع الماء ابن نوح مع من ابتلـع من الكافرين ، وزالت الأصنـام ، والأوثان .

ولكن نوحًا ، مـا زال يذكر ابنـه ، ويرجو من الله نجـاته، فـقـــال : رب إن ابني من أهلي وإن وعـدك الحـق وأنت أحكم الحاكمين .

فـقـال الله : يا نوح : إنه ليس من أهلك إنه عـمل غـيـر صالح، فـلا تسألني مـا ليس لك به علم ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين .

فاستغفر نوح ربه ، واعتذر عما فرط منه إلحاحه على الله أن ينجي ابنه .

سارت السفينة باسم الله مجريها ومرساها بين أمواج عالية ، ورياح شـديدة ، وعـواصف كـثيـرة ، وأمطار غـزيرة ، مـلأت الأرض وغطت قمم الجبال.

ثم أمر الله السماء أن تكف عن المطر .

وأمر الأرض أن تبلع الماء .

فرست السفينة على جبل الجودي ، واستقرت .

فأحس نوح ومن معه أن السفينة لا تتحرك ففتح نافذة ، وأطل منها فرأى الأرض فسيحة والشمس ترسل أشعتها على الكون ، ففرح فرحًا شديدًا ، وأخبر أصحابه بما رأى .

وقيل إنه أرسل الغراب ثم الحمامة لاستطلاع جفاف الأرض .

ففتح نوح أبواب السفينة ، بعد أن غاض الماء وجفت الأرض وأمكن السعي فيها ، والاستقرار عليها .

وقال الله له :

يا نوح ، اهبط بسلام منا ، وبركات عليك ، وعلى أمم ممن معك .

ثم أخرج نوح الحيوانات المتوحشة بأنواعها ، والطيور الجارحة على اختلاف صنوفها .

ثم أطلق الحيوانات الأليفة ، والطيور المستأنسة .

* * *



وأخيراً

خرج هو وأهله والمؤمنون فعاشوا في تلك البقعة من الأرض يحرثونـها ، ويزرعونهـا ، ويبنون البيـوت ، ويشيـدون المباني، فعـمرت الأرض ودبت فيـها الحيـاة ، ولم يتناسل المؤمنون بنوح وكـان النسل في أبنائه إلى أن حـان أجل نوح بعـد جهـاد طويل وكفاح مرير سنة الله ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

